دمشق الشام في كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل (ت ٣٦٧هـ-٩٧٧م)

محمد علي حبش(١)

(1) جامعة دمشق - مدير تحرير مجلة الأدب العلمي.

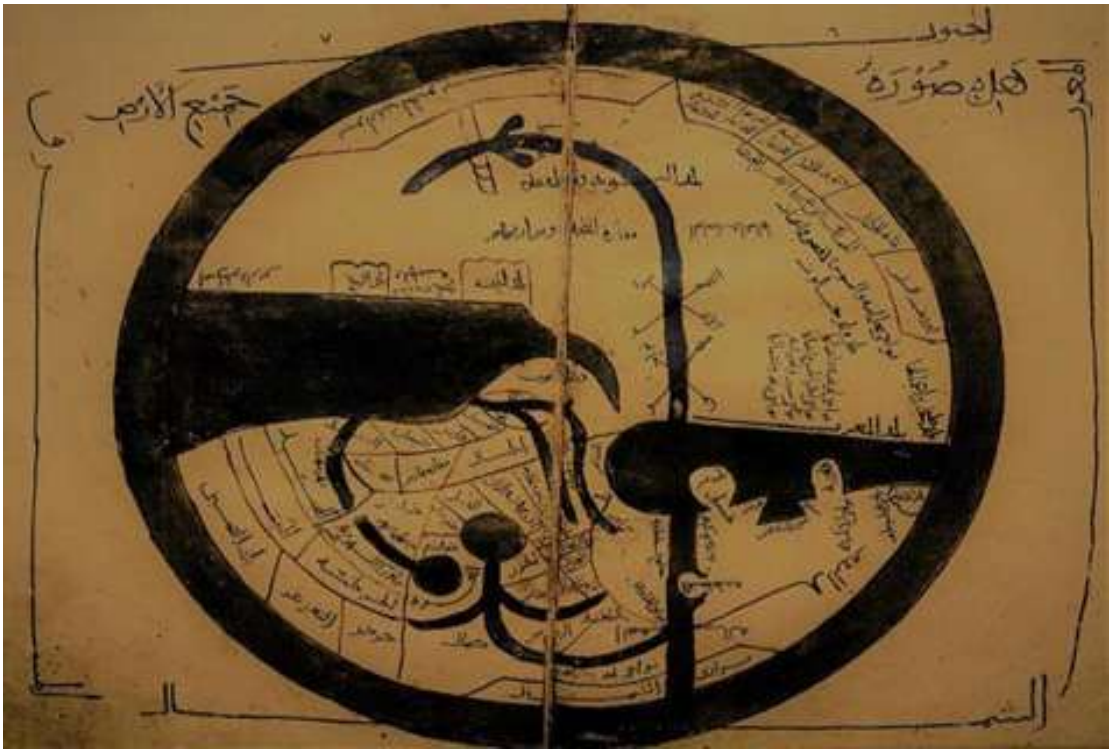

ملخَّص البحث

حظيت دمشقُ الشام باهتمام الجغرافيين العرب، فزاروها وحطُّوا رحالَهم فيها طلباً للعلم والمعرفة والفائدة العلمية في جمع المعلومات الجغرافية، أو للتجارة وكسب الرزق، فوصفوها في مؤلَّفاتهم، وتحدّثوا عن حدودها وطبيعتها وأنهارها وأهلها، ودوَّنوا مشاهداتهم في رحلاتهم.. ومن هذه المؤلفات كتاب (صورة الأرض)[٢] للرحّالة الجغرافي ابن حوقل[٣] الذيَ قدَّم فيه معلومات مهمّة عن دمشق الشام، حيث تحدَّث عن معالمها الطبيعية وصفاتها الطبوغرافية والمُناخية وموارد المياه وأهم المدن وزراعتها وصناعاتها، واصفاً غوطتها ومسجدها الأموي الكبير، وفصَّل في حدودها الواسعة طولاً وعرضاً، وصوَّر أجنادَها وجبالَها وأنهارها وبحرها وما على ساحله من مدن، وفقَ منهج امتاز به عن غيره من علماء الجغرافية باعتماده على معرفته الشخصية التي اكتسبها من رحلاته ولقاءاته بعلماء الفكر الجغرافي والرحّالة العرب، واستماعه لهم طالما كانوا ذوي علم ودراية بأخبار البلدان وممَّن يُشهد لهم بالصدق والبنان، واعتمد في كتابه أسلوبَ المشاهدة والدراسة الميدانية.

(2) كتاب صورة الأرض: أبو القاسم بن حوقل النصيبي، عدد الأجزاء: 2.

(3) ابن حَوْقَل (000-367هـ/000--977م)، هو محمّد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم: رحّالة، من علماء البلدان. كان تاجراً. رحل من بغداد سنة 331هـ ودخل المغرب وصِقِلِّيَة، وجاب بلاد الأندلس وغيرها.. له (المسالك والممالك). نقلاً عن كتاب: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط-5 2002، (ج-6 ص111). ويذكر "أغناطيوس كراتشكوفسكي" في مؤلفه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي)، تر: صلاح الدين هاشم، ج1، منشورات دار الغرب الإسلامي، موسكو، 1957. ص200، أنّ أصله من نصيبين السورية، المدينة العامرة من الجزيرة الفراتية، حيث لُقِّب بالنصيبي، درس بتعمُّق كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة "أبي القاسم عبيد الله" (ت:300هـ/912م)، وكتاب المسالك في معرفة الممالك للجيهاني "أبي عبد الله أحمد بن محمد بن نصر" (ت:330هـ/941م)، وكتاب الخراج وصنعة الكتابة لابن قدامة "أبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة" (ت:310هـ/922م أو 337هـ/948م)، وتوصّل إلى أن المعلومات التي فيها لم تستند إلى دليل أو مشاهدة شخصية، لذا اعتمد على نفسه في أسفاره وتنقّلاته بين المدن والبلدان والأقاليم.. ليرى بنفسه أحوالَها ويتعرَّف على ظواهرها الجغرافية وغيرها..

كما قدَّم معلومات عن حصون على طريق الشام، وقبائل عاشت في باديتها، وحمولاتها ونشاطاتها الزراعية والصناعية والتجارية، وخراجاتها من الجبايات والضرائب.

مقدّمة:

الأدب الجغرافي ليس كأيِّ فنٍّ من فنون الأدب العربي، إذ اكتسب أهميةً تجاوزت بكثير حدودَ اختصاصاته الضيِّقة.. طالما أنّه المصدر الأساسي والموثوق به في دراسة ماضي العالم الإسلامي، والتراث العلمي العربي، إذ تتوفَّر فيه مادّة لا ينضب مَعينُها تمدُّنا بمعلومات مهمّة عن جميع البلاد التي بلغها العرب أو التي تجمَّعت لديهم معلومات عنها.

إنّ دراسةَ الأدب الجغرافي عند العرب، يحتاج إلى صبر وأناة، لكي نستطيع تقدير أهمية هذا الإنتاج بعَدِّه إنسانيّاً لا يهمُّ العربَ وحدَهم ولا يشغل حيّزاً معيَّناً من أدبهم، بل يهمُّ الفكر الإنساني عامّة.

والبحث الجغرافي عند العرب يُتحفنا بنصوص ومعلومات دقيقة ومفيدة عن الامتداد العربي، والكيفية التي كانت تُجمع بها المعلومات الجغرافية عن الأقاليم التي شملها ترحالهم وأسفارهم، ومنها وصف الشام وغيرها من البلاد والأمصار، وضبط المسافات ورسم المصوَّرات الجغرافية في ميدان الجغرافية الوصفية والرحلات والمسالك والممالك..

ومثلما كان العرب سبّاقين في كثير من العلوم (الطب، والفلك، والرياضيات... وغيرها) كانوا أيضاً مبتكرين في ميادين أخرى مثل دراسة الأبعاد والمسافات ومعرفة الممالك والأقاليم وخطوط عرضها وطولها واستكشاف المجاهل والجزائر النائية والأقاليم المهجورة.

ولعلّ تتبُّعَ أسفار واحد من أهم الجغرافيين العرب، وهو ابن حوقل، وما رواه في صورة الأرض،

يَرفدنا بملاحظات دقيقة عمّا فيه من دراسة منهجية وعمقٍ وحقائق، وهي معلومات على جانب كبير من الأهمية في الأدب الجغرافي.. لم تزدنا إلّا اقتناعاً باتّساع آفاق الأدب الجغرافي عند العرب في مشارق الأرض ومغاربها.

وهنا، إطلالة على كيفية تناول هذا الأدب لدمشق الشام في مؤلَّف "صورة الأرض" لابن حوقل من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

أولاً- "صورة الأرض" من أبرز كتب المسالك والممالك:

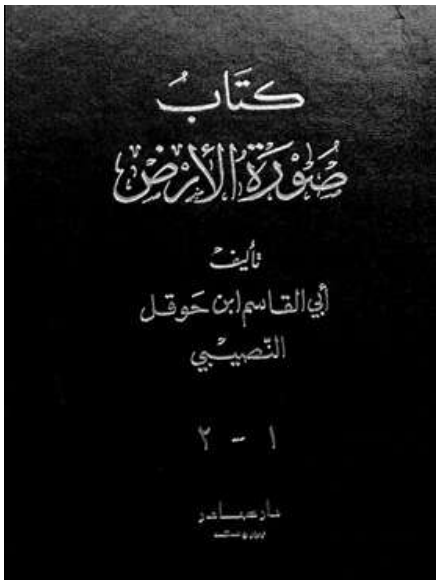

حمل كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل اسماً آخر هو (المسالك والممالك)، ففي مطلعه يلتزم بما أخذه على عاتقه بتناول جوانب معرفية جغرافية معبّراً عنها، حيث ورد في كتابه تحت العنوان: "هذا كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، وذكر الأقاليم والبلدان، على مرِّ الدهور والأزمان، وطبائع أهلها، وخواص البلاد في نفسها، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلّاتها، وذكر الأنهار الكبار، واتّصالها بشطوط البحار، وما على سواحل البحار من المدن والأمصار، ومسافة ما بين البلدان للسفّارة والتجّار، مع ما ينضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار والنوادر والآثار".

ويعدُّ هذا الكتاب من أبرز الكتب العربية الجغرافية المبكّرة، التي تمثّل أساساً مهمّاً من أسس الجغرافيا، ويصف ابن حوقل الأرضَ وأشكالَها ومقدارَها في الطول والعرض وأقاليم بلدانها ومحلَّ الغامر منها والعمران فيها، ويذكر في مقدّمته دواعي تأليفه هذا الكتاب، المتمثّلة في العمل بالتجارة وكسب الرزق والفائدة العلمية في جمع المعلومات الجغرافية، حيث يقول: "ممّا حضَّني على تأليفه، وحثّني على تصنيفه، وجذبَني إلى رسمه أنّي لم أزل في حال الصبوة شغفاً بقراءة كتب المسالك، متطلّعاً إلى كيفيّة البين بين الممالك في السير والحقائق، وتباينهم في المذاهب والطرائق، وكمّيّة وقوع ذلك في الهمم والرسوم والمعارف والعلوم والخصوص والعموم، وترعرعتُ فقرأتُ الكتبَ الجليلة المعروفة، والتّواليفَ الشريفة الموصوفة، فلم أقرأ في المسالك كتاباً مُقنعاً، وما رأيت فيها رسماً مُتَّبَعاً، فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب، واستنطاقي فيه وجوهاً من القول والخطاب، وأعانني عليه تواصلُ السَّفَرِ..."[4].

امتاز منهجُ ابن حوقل عن غيره من علماء الجغرافية باعتماده على معرفته الشخصية، التي اكتسبها من رحلاته ولقاءاته بعلماء الفكر الجغرافي والرحّالة العرب، واستماعه لهم طالما كانوا ذوي علم ودراية بأخبار البلدان، وممَّن يُشهَد لهم بالصدق والبنان، واعتمد في كتابه أسلوبَ المشاهدة والدراسة الميدانية، مركزاً على الجوانب البشرية أكثر من تركيزه على الجوانب الجغرافية.. وباشتمال مؤلَّفه (صورة الأرض) على خريطة خاصة لكلِّ إقليم تحدَّث عنه، وجملة

(4) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص3.

تلك الخرائط تشكّل بحقٍّ أطلسَ للعالم الإسلامي، "إذ عمل على توحيد هذه الخرائط في أطلس موحّد يعدُّ من أول الأطالس العربية المُبكرة التي تصوِّر العالمَ المعروف حينذاك"[٥].

صورة جميع الأرض لابن حوقل

ووصف "اندريه ميكيل" ابنَ حوقل بأنّه "من أميز مؤلِّفي كتب المسالك والممالك، من حيث سعة الوثائق، وغزارة المعلومات الجغرافية، فضلاً عن تقديم معطيات جديدة لم يذكرها الجغرافيون السابقون"[٦]. وقدَّم للتراث الجغرافي دراسة علمية عن المسافات والبحار والأنهار والجبال وخواص البلدان التي زارها، ووصف عاداتها وتقاليدها. فكان نتاجه متكاملاً، وخاصة فيما يرتبط ببلاد الإسلام، من حيث طبيعة العرض والمحاصيل الزراعية والحياة الاجتماعية في الحضر والأرياف.. وامتاز كتابُه بما يحتويه من الأفكار الأصيلة التي لم يسبقه إليها أحدٌ.. إذ كان متمسِّكاً بالمنهج العلمي الذي يستند إلى المشاهدة والاستنباط العلمي، والاستقراء المنطقي.

ولمّا كان ابن حوقل نابغةً في علم الجغرافيا، طلبَ منه الإصطخريُّ[٧] تنقيح كتابه (المسالك والممالك).. إذ يزعم ابنُ حوقل أنه لقي الإصطخريَّ في بغداد، وأخذ منه كتابه لتصحيحه كما زعم، قال: "ولقيتُ أبا اسحاقَ الفارسيَّ، وقد صوَّر هذه الصورة لأرض الهند فخلطها، وصوَّر فارسَ فجوَّدَها، وقد كنتُ صوَّرتُ أذربيجانَ التي في هذه الصفحة فاستحسنها، والجزيرةَ

(5) في الجغرافية العربية، دراسة في التراث الجغرافي العربي: شاكر خصباك، ص374.

(6) جغرافية دار الإسلام البشرية: أندريه ميكل، ج1، ص60.

(7) الإصطخري (000-346هـ=000-957م) هو إبراهيم بن محمد الفارسيّ، أبو إسحاق الإصطخري ويقال له الكرخي: جغرافي، رحّالة، من العلماء، من أهل إصطخر (بإيران)، قام بسياحة طاف بها بلاد العرب وبعض بلاد الهند، وبلغ الأوقيانوس الأتلانتيكي، واستعان بكتاب (صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي، ولم تكن مصادر علم البلدان وافرة في عصره، فألّف كتابيه (صور الأقاليم) على اسم كتاب البلخي، و(مسالك الممالك)، ونقل ياقوت الحموي عنهما أو عن أحدهما في معجم البلدان، وأغفل ترجمته أو الإشارة إليه في كلامه على إصطخر، مكتفياً بتسميته في مقدّمة المعجم أبا إسحاق الإصطخري (عن الأعلام للزركلي، ج1 ص61). وورد في نسخة دار صادر من كتاب المسالك والممالك للإصطخري، أنه خلَّف كتابين هما «صور الأقاليم» و«المسالك والممالك». والظاهر أنه ألّف الأول ثم شرحه وفصّله وسمّاه بالمسالك والممالك. يظهر من كتب المسالك والممالك أن هذه السلسلة من الكتب الجغرافية بدأت بكتاب أبي زيد البلخي، واستمرّت بتأليف الإصطخري، وتمّت بكتاب ابن حوقل.

فاستجادها، وأخرج التي لمصر فاسدةً، وللمغرب أكثرها خطأً، وقال قد نظرتُ في مولدك وأثرك، وأنا أسألكَ إصلاحَ كتابي هذا حيث ضللتُ، فأصلحتُ منه غيرَ مُشكل وعزوته إليه"[٨]، والواضح من قول ابن حوقل أنّ للإصطخرى كتاباً وأنّه أصلحه كما زعمَ، وأنّ هذا الكتاب منسوب للإصطخري.

أمضى ابن حوقل في أسفاره نحو ٣٠ عاماً، طاف خلالها أنحاء مصر والشام والبحرين والأحساء وبلاد فارس وخراسان، وآسيا الوسطى والجنوبية، وبلاد السند والبلغار والأندلس وإفريقيا، وصقلية، إذ كان قد بدأ سفره من مدينة السلام يوم الخميس السابع من شهر رمضان سنة ٣٣١ هجرية، ٩٤٢ ميلادية برّاً، دون أن يركب البحر، إذ سلك الأرض طولاً وعرضاً، ووصف رجالات البلدان، وأعيانَ ملوكها من ذوي السلطان، وذكرِ محاسنهم وفضائلهم، وفصَّل بلاد الإسلام إقليماً إقليماً ... وبدأ بذكر ديار العرب فجعلها إقليماً واحداً .. فذكر المغرب، وأرض مصر والقيروان والمهديّة وطنجة، ثمّ صوَّر الشامَ وأجناده وجباله ومياهه من أنهاره وبحره، وما على ساحله من المدن[٩].

ثانياً- جغرافية الشام وحدودها:

مثلما تحدَّث الإصطخري في كتابه المسالك والممالك، تحت عنوان أرض الشام، عن حدودها وما يُحيط بها، نجد ابنَ حوقل قد قسَّم الأرض قسمين، وهما برٌّ جنوبيٌّ، وبَرٌّ شماليٌّ، ورسم في كل برّ أنهارَه وبلدانه والممالك التي على البحار.. وأشار إلى الشام التي تشمل كلاً من سورية ولبنان وفلسطين وشرقيَّ الأردن، وتحدَّث عن معالمها الطبيعية وصفاتها الطبوغرافية والمُناخية وموارد المياه وأهم المدن وزراعتها وصناعاتها، وسكانها وعاداتهم وتقاليدهم وحكّامهم مع ذكر تاريخ كلِّ إقليم.. إذ يقول في هذا الموضع: "عن يَمين أرمينيّةَ نهرُ دجله ثمّ الفرات، وبينهما الجزيرة، وبين الفرات والبحر يقرأ الشام، ثمّ عند مصبِّ النَّهرين العراقُ، ومن فوق ذلك ديارُ العرب، ثمَّ يقرأ عن يسار العراق على البحر خوزستان ثمّ فارس..."[١٠].

ويَستنتج ابنُ حوقلٍ أنَّ الأرض مقسومةٌ على الممالك، إذ يقول: "عمادُ ممالك الأرض أربعٌ، فأعمرُها وأكثرُها خيراً وأحسنُها استقامةً في السياسة وتقويم العمارات ووفور الجبايات مملكة إيران شهر، وقطبُها إقليم بابل، وهي مملكة فارس..."[١١]، ويُنوِّه إلى أنَّ الشام كانت تتبع مملكةَ الروم، وأخذتها مملكةُ فارس حين جاء الإسلام، ويقول: "كان حدُّ هذه المملكة (فارس) في أيّام العَجم معلوماً، فلمّا جاء الإسلام أخذت (الدولةُ الإسلامية) من كلِّ مملكة بنصيب، فأخذت من مملكة الروم الشام ومصر والمغرب والأندلس، وأخذت من مملكة الصين ما وراء النهر، وانضمَّت إليها هذه الممالك العظيمة.."[١٢].

وحين يتحدَّث ابنُ حوقل عن مملكة الإسلام، ويذكر حدودها وامتداداتها، يذكر الثغورَ

(8) المسالك والممالك: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، ص8.
(9) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص6.
(10) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص9.
(11) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص9.
(12) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص9

الشامية، إذ يقول: "أمّا بحرُ الروم فإنّه يأخذ من البحر المحيط في الخليج الذي بين المغرب والأندلس، حتّى ينتهي إلى الثغور التي كانت تُعرف بالشاميّة، ومقداره في المسافة نحو أربعة أشهر..."[١٣].

ويُقسِّم ابنُ حوقل ديارَ العرب إلى أقسام عدّة، ومنها أرض الشام، حيث يقول: "وديار العرب هي الحجاز التي تشتمل على مكّة والمدينة واليمامة ومَخاليفها، ونجد الحجاز متّصلاً بأرض البحرين، وبادية العراق وبادية الجزيرة وبادية الشام، واليمن المشتملة على تهامة ونجد اليمن وعمانٍ ومهرة وبلاد صنعاء وعدن وسائر مَخاليف اليمن... وما كان من اليمامة إلى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة حتّى يمتدَّ على البحرين [إلى البحر] فمن نجد، وما كان من حدّ عبّادان[١٤] إلى الأنبار مواجهاً لنجد والحجاز على ديار أسد وطيِّئ وتميم وسائر قبائل مُضَرَ فمن بادية العراق، وما كان من حدّ الأنبار إلى بالس[١٥] مواجهاً لبادية الشام على أرض تيماء وبرّيّة خساف إلى قرب وادي القرى والحجر فمن بادية الجزيرة، وما كان من بالس إلى أيلة مواجهاً للحجاز على بحر فارس إلى ناحية مدين معارضاً لأرض تبوك حتّى يتّصل بديار طيِّئٍ فمن بادية الشام"[١٦].

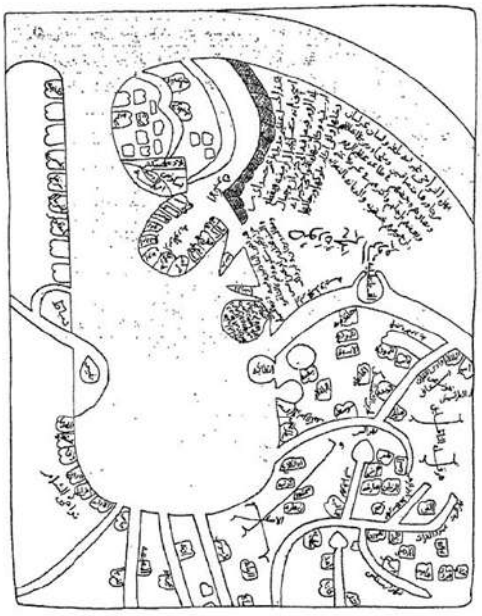

صورة بحر الروم التي في الصفحة ٥٢ ب من الأصل.

(13) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص11.

(14) يقول ابن حوقل في صورة الأرض (ص48) عن عبّادان إنها "حصن صغير عامر على شطّ البحر، ومجمع ماء دجلة، وهو رباط كان فيه المحاربون للصفريّة والقطريّة وغيرهم من متلصّصة البحر، وبها على دوام الأيّام مرابطون، قال كاتب هذه الأحرف اجتزت بعبّادان سنة 538 وهي جزيرة في وسط الدجلة وماء الفرات عند مصبّهما في البحر واختلاط ماء البحر بهما وفيها رباط يسكنه جماعة الصوفيّة والزهّاد وليس بينهم المرأة البتّة، وفي هذه الجزيرة مسجد من جانب الشرق، وفيه ودائع وأمانات غير مسلّمة إلى أحد من الناس، وقد قرّر الجماعة بتلك البقعة أنّ كلّ من أخذ من عبّادان شيئاً على سبيل الجناية والسرقة فإنّ السفينة تغرق لا محالة بزعمهم، حتّى إنّهم قد رسّخوا في قلوب الناس أنّ تراب عبّادان إن حمله أحد بغير أمر أولئك الجماعة فإنّ تلك السفينة التي فيها من ذلك التراب تغرق وليس كما زعموا".

(15) هي قلعة ومدينة أثرية تقع بين مسكنة والطبقة عند انعطاف نهر الفرات إلى الشرق. ذكرها أبو العلاء المعرّي في ديوانه اللزوميات بقوله:

أَرى كَفرَطابٍ أَعجَزَ الماءُ حَفرَها وَبالِسَ أَغناها الفُراتُ عَنِ الحَفرِ

(ديوان اللزوميات لأبي العلاء المعرّي ص405).

(16) صورة الأرض: ابن حوقل، (ج-1 ص ص19-21).

في (صورة الأرض) أيضاً خصَّص ابنُ حوقل فصلاً كاملاً عن الشام، بدأه بالقول: "أمّا الشام فإنّ غربيَّها بحر الروم[17] وشرقيَّها البادية من أيلة إلى الفرات، ثمّ من الفرات إلى حدِّ الروم، وشماليَّها بلاد الروم، وجنوبيَّها مصرٍ وتيه بنى إسرائيل[18]، وآخرُ حدودها ممّا يلى مصر رفح، وممّا يلى الروم الثغور المعروفة قديماً بثغور الجزيرة، وهي ملطيه والحدث ومرعش والهارونيّة والكنيسة وعين زربة والمصِّيصة وأذنه وطرسوس"[19].

ويُوضِّح ابنُ حوقل في كتابه عبر مصوَّر للشام مُعدِّداً أسماءَ المدن والقرى على حدودها، فيقول: "هذه الصورة التي في باطن هذه الصفحة صورة الشام، إيضاح ما يوجد في صورة الشام من الأسماء والنصوص، قد كتب في النصف الأيمن من الصورة موازياً لساحل بحر الروم الساحل، وعليه من المدن ابتداءً من الأعلى الفرما، ميماس، تبدا، عسقلان، الماحوز، يافا، قيساريه، عكا، إسكندرية، صور، عذنون، صرفنده، صيدا، الجيه، الناعمه، بيروت، جونيه، الماحوز، جبيل، بثرون، أنفه، القلمون، أطرابلس، أنطرطوس، مراقيه، بلنياس، جبلة، اللاذقية، فاسرة، السويديه، الصخره، الإسكندرونه، بياس"[20].

(17) بحر الروم: أي البحر الأبيض المتوسط.
(18) تيه بني إسرائيل: أي صحراء سيناء.
(19) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص165.
(20) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص165.

يتابع في شرح الحدود مشيراً إلى الشام في أكثر من موضع قائلاً: "في أسفل الصورة ينصبُّ في البحر ثلاثة أنهار عليها من المدن كفربيا، المصيصة، عين زربه، أذنه، طرسوس، ورسمت في البحر ثلاثَ مدن وهي الكنيسة، أرسوف، نسدين، وكتب في البرِّ عن يسار قيسارية وعكا وبينهما حيفا والقصور المضافة إلى حيفا، وتوازى الساحل سلسلة جبليّة، وكتب في أعلى الساحة التي بينها وبين البحر نواحي مصر ومغرب الشام وبلد فلسطين، وفي هذا القسم مدينتا الرملة وكفر سابا، ثمّ يليهما إلى الأسفل اتّصالاً للجبل بانياس، أقذار، عرقة، حصن برزوية، بغراس، الهارونية، الكنيسة، وبين حصن برزوية والصخرة نهر، وكتب في أسفل هذا القسم شمال الشام، وكتب في الجانب الأيسر من الجبل عند أعلاه جبل طور سينا، وعن يسار ذلك تيه بنى إسرائيل، وعن يسار ذلك مدينة القلزم وبحر القلزم، ومن أسفل ذلك جنوب الشام، وكتب من طرفي هذا القسم الأعلى من الجبل آخر مخطوط فلسطين، وفيه مدينتا بيت إبراهيم وبيت المقدس، ومن أسفلهما نابلس، ثمّ بحيرة طبرية ونهر الأردن الذي يُفضي إلى بحيرة زغر وعليها مدينة زغر، وكتب عند الجبل فيما يُسامتُ بانياس جبل لبنان، وتقابله في البرّ مدينة دمشق، وبين دمشق وزغر من المدن البلقا، رقم، روَاث، وكتب عند القسم الأوسط من الجبل جبل بهرا، وهنا مدينة حمص، وبين حمص ودمشق طريق عليه من المدن جوسية، اللبوة، بعلبك، الزبداني، ومن أسفل حمص مدينة فامية، ثمّ كتب عند القسم التالي من الجبل جبل السمّاق وقرب ذلك مدينة أنطاكيه، ويأخذ منها طريق إلى حلب ثمّ إلى بالس على نهر الفرات، وعلى الطريق من حلب إلى حمص من المدن قنسرين، كفرطاب، شيزر، حماه، وبين شيزر وأنطاكيه مدينتا معرة النعمان ومعرة مصرين، وكتب على خطّ مستطيل من بالس إلى القلزم حدّ الشام وعليه من المدن الرصافة، الخناصرة، تدمر، سلمية، معان، وتحت الخطّ هذه صورة الشام، وذلك عنوان الصورة، وعن يسار ذلك نواحي ديار العرب والبادية، وعلى نهر الفرات من جانبه الأيسر الرافقة، الرقة، الجسر، جربلص، وكتب وراء ذلك مشرق الشام، وبين حلب وجربلص مدينه منبج، ثمّ على ضفّة الفرات من هذا الجانب سميساط[٢١]، ملطيه، وعن يمينهما شمشاط، ويأخذ من شمشاط طريق إلى الجبل وعليه دلوك، رعبان، مرعش، بوقا وأسفل بوقا مدينة الحدث، واسم الجبل في هذا القسم جبل اللكام، ثمّ كتب في أسفل الصورة نواحي بلد الروم"[٢٢].

لقد أجمع الإصطخري في كتابه المسالك والممالك، وأبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد البكري الأندلسي في كتابه المسالك والممالك، وابن حوقل في (صورة الأرض)، على أنّ بعلبك هي من مدن الشام، فحين يُعدِّد البكريُّ كُوَرَ الشام ومدنها يقول: "إنّ لها كُوَراً جليلة منها: جردان، والسمة"، أما مدنها فهي: "بصرى وأذرعات والبلقاء وذمار وعمّان وجبال وشراط ومأرب وتنوفة والغور وبعلبكُ وبيروت، وهي قرية الأوزاعي، وأطرابلس ووجه الحجر وأجنادين

(21) شِمْشَاطُ: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وشين مثل الأولى، وآخره طاء مهملة: مدينة بالروم على شاطئ الفرات، وينقل ياقوت الحموي في معجم البلدان (ج3) عن بطليموس قوله: مدينة شمشاط طولها إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة، كما ينقل عن صاحب الزيج قوله: طول شمشاط اثنتان وستون درجة وثلثان، وعرضها ثمان وثلاثون درجة ونصف وربع، وشمشاط الآن خراب ليس بها إلا أناس قليل، وهي غير سميساط، هذه بسينين مهملتين وتلك بمعجمتين، وكلتاهما على الفرات إلّا أنّ ذات الإهمال (سميساط) من أعمال الشام، وتلك في طرف أرمينية، قيل: سمّيت بشمشاط بن اليفز بن سام بن نوح، عليه السلام، لأنّه أول من أحدثها، وقد نُسب إليها قوم من أهل العلم، منهم: أبو الحسن عليّ بن محمد الشمشاطي، كان شاعراً وله تصانيف في الأدب.

(22) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص ص166-168.

واليرموك ومرج الصفر والجابية ومرج راهط"[٢٣].

ويُشيد ابنُ حوقل بأبنيتها العجيبة من الحجارة، ويتحدَّث عن هبّة أهل الشام لنجدتها وقت الاستنفار، فيقول: "من حدِّ دمشق بعلبك، وهي مدينة على جبل، وعامّة أبنيتها من حجارة، وبها قصور من حجارة قد بُنيت على أساطين شاهقة، وليس بأرض الشام أبنيةُ حجارة أعجب ولا أكبر منها، وهي مدينة كثيرة الخير والغلّات والفواكه الجيّدة بيّنة الخصب والرخص، وهي قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم، وهي فرضتها وساحلها، وبها يُرابطُ أهل دمشق وسائر جندها، وينفرون إليهم عند استنفارهم، وليسوا كأهل دمشق في جساء الأخلاق وغلظ الطباع، وفيهم مَنْ إذا دُعي إلى الخير أجاب وأصغى، وإذا أيقظه الداعي أناب، ولنفس دمشق خاصّيّة بطالعها المُحيل بطاعتها إلى الخلاف"[٢٤].

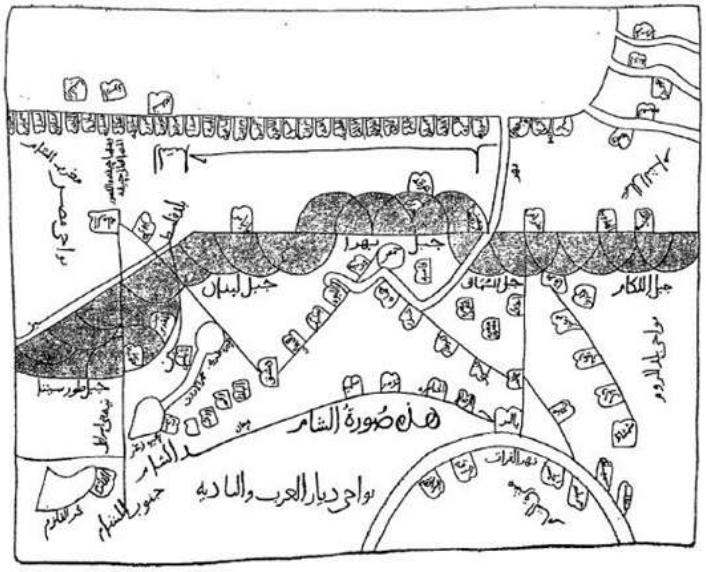

صورة الشام في ص٤٩ ب من الأصل، في صفحة ١٦٧ من الكتاب الذي بين أيدينا

ويقدّر ابن حوقل المسافات بين المدن بالمراحل، ذاكراً مدينة "أيلة" التي لها أربعة أبواب، من ضمنها باب دمشق، فيقول: "وأمّا طريق الرقّة إلى المدينة فنحو عشرين مرحلة على جبلي طيِّئ وكذلك من دمشق إلى المدينة ومثلها من فلسطين إلى المدينة، ومن مصر إلى المدينة على الساحل عشرون مرحلة ومجتمعهم مع أهل الشام بأيلة[٢٥]، وفي ضمن المصريّين يحجّ المغاربة، وربّما تفرَّدوا بأنفسهم، إلّا أنَّهم يتَّفقون في مناخ واحد، وربَّما تقدَّموا فيكون بينهم أن ينزل أحدهم ويرحل الآخرون، أو يتأخَّرون على هذا السبيل، وأيلة من ناحية الشام أوَّل حدود البادية..."[٢٦].

(23) المسالك والممالك: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد البكري الأندلسي، (ج1 ص464).
(24) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص175.
(25) ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي (ج1، ص292) أن أَيْلَة: بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، واشتقاقها قد ذكر في اشتقاق إيلياء بعده، قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمُسخوا قردة وخنازير، وبها في يد اليهود عهد لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال أبو المنذر: سُمِّيت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم، عليه السلام، وقال أبو عبيدة: أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم تعدُّ في بلاد الشام.
(26) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص40.

وفي باب خصَّصه للحديث عن الجزيرة، يصوِّر ابنُ حوقل الشام بأنها رأس طائر تُشكِّل البصرة ومصر جناحاه، واليمن ذيله، حيث يقول: "على شرقيِّ دجلة وغربيِّ الفرات مدنٌ وقرى تُنسب إلى الجزيرة، وهي خارجة عنها ونائية منها، وسأذكرها بما يدلُّ على حالها، قد اتّفق العلماء بمسالك الأرض وبعض الحُسّاب المشار إليهم بعلم الهيئة فيما تواضعوه من صفات الأرض أنّها مصوّرة بصورة طائر، فالبصرة ومصر الجناحان، والشام الرأس، والجزيرة الجؤجؤ، واليمن الذنب، وهذه حكاية ما رأيتُها قطُّ مُقرَّرة"[٢٧].

ثالثاً – اليمن جزءٌ من أرض الشام، وأحد أركان الكعبة المشرّفة الركن الشامي:

يُشير ابنُ حوقل في كتابه (صورة الأرض) إلى أنّ هناك طوائفَ من العرب من ربيعة ومُضر سكنوا الجزيرة، دانت بالديانة المسيحية بأرض الشام، ولعلَّ في إشارته هذه دلالة على أنّ اليمن هي جزءٌ من أرض الشام، مثل: "غسان"، و"بهراء" و"تنوخ"، إذ يقول: "سكن طوائف من العرب من ربيعة ومضر الجزيرة حتّى صارت لهم بها ديار ومراع، ولم أرَ أحداً عزا الجزيرة إلى ديار العرب، لأنَّ نزولهم بها وهي ديار لفارس والروم في أضعافٍ قرى معمورة ومدن لها أعمال عريضة، فنزلوا على خفارة فارس والروم، حتَّى إنَّ بعضهم تنصَّر ودان بدين النصرانيّة مع الروم مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسّان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام"[٢٨].

وحين يتحدَّث ابنُ حوقل عن مكّة المكرَّمة والأركان الأربعة للكعبة المشرَّفة[٢٩] يُشير إلى الركن الشامي، وهو الركن الغربيُّ، الذي يتَّجه باتجاه الشام، إذ يقول: "وأنا مُبتدئٌ من ديار العرب بذكر مكّة، ومكّةُ مدينة فيما بين شعاب الجبال، وطولُها من المعلاة إلى المَسفلة نحو ميلين، وهو من الحدِّ الجنوبي إلى الشمالي، ومن أسفل جياد إلى ظهر قعيقعان نحو الثلثين من هذا، وأبنيتُها من حجارة، والمسجد في نحو وسطها، والكعبة في وسط المسجد، وباب الكعبة مرتفع من الأرض نحو قامة تجاهَ المشرق، وهو مصراعان، وأرض البيت مرتفعة عن الأرض مع الباب، ويُحاذيه قبّةُ زمزم، ومقام إبراهيم صلّى اللّه عليه بقرب من زمزم بخطوات، وبين يدي الكعبة ممّا يلي المغرب حصار مبنيٌّ مدوَّر له بابان مع ركني البيت، إلّا أنّه لم يدخل فيه، ويُعرف بالحجر، والطواف يحيط به وبالبيت، وأحدُ الرُكنَين الذي يحادُ الحجر يُعرَف بالعراقيّ، والركن الآخر يُعرف بالشاميِّ، والركنان الآخران أحدُهما عند الباب والحجر الأسود مركَّب فيه على نحو قامة إنسان، والركن الآخر يُعرف باليمانيّ"[٣٠].

---

(27) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص209.

(28) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص19.

(29) هي زوايا الكعبة الأربع، وجاءت تسميتها باعتبار اتجاهاتها الأربعة تارةً، وخصوصية أخرى فيها تارة أخرى. الرُكن الشرقي: وهو الركن الذي يكون بجوار باب الكعبة ويُقابلُ بئر زمزم تقريباً، يُسمى بالركن الشرقي لكونه باتجاه المشرق تقريباً، ويُسمَّى أيضاً بالركن الأسود لأن الحجر الأسود مُثبَّتٌ فيه ومنه يبدأ الطواف حول الكعبة. الرُكن العراقي: وهو الركن الذي يلي الركن الشرقي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الشمالي لمواجهته للشمال تقريباً، وهو الركن الذي يكون على الجانب الشرقي من حجر إسماعيل، ويُسمَّى أيضا بالركن العراقي لكونه باتجاه العراق. الرُكن الغربي: وهو الركن الذي يلي الركن الشمالي وفق جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الغربي لمواجهته للمغرب تقريباً، ويُسمَّى أيضاً بالركن الشامي لكونه باتجاه الشام، وهو الرُكن الذي يكون على الجانب الغربي من حجر إسماعيل. الرُكن اليماني: وهو الركن الذي يلي الركن الغربي وفق جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الجنوبي لمواجهته للجنوب تقريباً، ويُسمَّى أيضًا الركن اليماني لكونه باتجاه اليمن، ويُسمَّى أيضاً بالمُستجار. هو أحد أركان الكعبة المشرَّفة في اتجاه الجنوب، وهو الركن الموازي لركن الحجر الأسود.

(30) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص28.

رابعاً- حصون على طريق الشام، وقبائل في باديتها:

الحصن، هو بناء عسكري أو مبنًى مصمَّم للدفاع عن الأراضي في حالات الحروب، ويُستخدم أيضاً لترسيخ الحكم في منطقة خلال وقت السلم.. وتميَّزت كثير من بلاد العرب بحصونها في كثير من المواضع، سواءً على المرتفعات الجبلية، أو على السواحل البحرية، وها هو ابن حوقل يصف عدداً من تلك الحصون المنتشرة على طريق الشام، فيقول: "... وتبوك بين الحجر وبين أوّل الشام على أربع مراحل في نحو نصف طريق الشام، وهي حصن، وله عين ماء، ونخيل وحائط يُنسب إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ويقال إنَّ أصحاب الأيكة الذين بعث الله إليهم شعيباً كانوا بها، ولم يكن شعيب منهم، وإنّما كان من مدين، ومدين على بحر القلزم[٣١] محاذية لتبوك على نحو ستِّ مراحل[٣٢]. كما يصف تيماء بأنّها حصن أعمر من تبوك، بينها وبين أوّل الشام مسير ثلاثة أيام، إذ يقول: "تيماء حصن، وهي في شمال تبوك، ولها نخيل، وهي ممتار البادية، وبينها وبين أوّل الشام ثلاثة أيّام"[٣٣].

وأنطرطوس حصن على البحر ثغر لأهل حمص، فيه مصحف عثمان بن عفّان وعليه سور من حجارة، وكان الروم يقصدونها في حروبهم، وقد نجا أهلُها غير مرّة من الروم لقلّة اكتراثهم بما في البلد ورزوح حال أهله، ولم يقف نقفور عليه لهذا السبب"[٣٤].

ويتحدَّث ابن حوقل أيضاً عن قبائل في بادية الشام، فيقول: "أمّا بادية الشام فإنّها ديار لفزارة[٣٥] ولخم[٣٦] وجُذام[٣٧] وبلِّي[٣٨] وقبائل مختلطة من اليمن وربيعة ومضر وأكثرها يمن"[٣٩].

خامساً- الحياة الاقتصادية في الشام:

لمّا كان ابن حوقل قد اطَّلع على كتب الخراج، ودرسها بتعمّق في مسيرة حياته العلمية والتجارية، فقد تناول ذلك في كتابه صورة الأرض، فقدَّم معلومات اقتصادية مهمّة ودقيقة عنها، ويعود ذلك إلى اتجاهه الاقتصادي كونه تاجراً رحّالة.. وإنّ اتِّساع رقعة الدولة الإسلامية تطلَّب معلومات جديدة عن تلك البلدان وشعوبها، فلا بدَّ للحكّام المسلمين أن يتعرَّفوا على طبيعة السكّان وعلى إنتاج البلاد الزراعي والصناعي وثرواتها، ليتمكَّنوا من تقدير خراجها،

---

(31) البحر الأحمر.

(32) كلمة مرحلة تعني لغويّاً: مرحلَ يمرحلُ مرحلةً، أتمَّه على فترات، والمرحلة في القاموس: المسافة التي يقطعها السائر في نحو يوم، أو ما بين المنزلية. يُقال بيني وبين كذا مرحلة أو مرحلتان، والمرحلة المنزلة يُرتحل منها.

(33) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص ص32-34.

(34) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص177.

(35) ورد في موسوعة القبائل العربية - بحوث ميدانية وتاريخية: محمد سليمان الطيب، أنّ قبيلة فزارة تُنسب إلى مؤسسها فزارة "جد جاهلي": وهو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (ج2، ص481).

(36) كانت لخم قد انتشرت قبل الإسلام بقرنين فوق الأراضي الواقعة شمالي شبه الجزيرة في الشام وفلسطين والعراق؛ ولذلك كانت قبائل منها تقيم، في الوقت الذي سار فيه عمرو إلى مصر، في جبل الحلال الواقع دون العريش من ناحية الشام، ولما مرّ عمرو بهذا الجبل في طريقه إلى مصر انضم إليه بعض هذه القبائل، وهكذا دخلت لخم مصر منذ أول لحظة مع جيش الفتح (وفق موسوعة القبائل، ج2، ص124).

(37) الراجح عند جمهرة العلماء أن جُذاماً من القحطانية ببلاد اليمن وهو: جُذام (عمرو) بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (وفق موسوعة القبائل، ج1، ص134).

(38) "بلِّي" نسب القبيلة، هو بلِّي بن عمرو بن الحافي بن قُضاعة، تنتشر عشائر بلي في الوقت الحاضر في شمال الحجاز (شمال غرب المملكة العربية السعودية)، ويقول المقريزي: كانت بلِّي في الشام فنادى رجل من بلِّي: يا آل قُضَاعة فبلغ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فكتب إلى عامله على الشام أن يُسيّر ثلث قُضَاعة إلى مصر، فتفرّقت بطون بلِّي في الديار المصرية، ثم صار لبلّي جسر سوهاج غرباً إلى قرب غرب قمولة، وصار لها من الشرق من عقبة قاو الخراب إلى عيذاب في صحراء أسوان (وفق موسوعة القبائل، ج1، ص318).

(39) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص35.

وكذلك التعرُّف على أسماء مدنها المهمّة والطرق المؤدِّية إليها. فالخراج[40] الذي عُرف منذ الأيام الأولى للإسلام، يعني الضريبة السنوية المفروضة على الأراضي التي تُزرع حبوباً ونخيلاً وفاكهة، يدفعها المزارع للمقطع صاحب الأرض الإقطاعية ليُؤدِّيَها بدوره إلى خزانة الدولة بعد استقطاع مختلف المصروفات.. ويقول: "كان خراج الشام علَى عهد بني مروان ألف ألف دينار وفوق ثمانمائة ألف دينار"[41].

ويذكر ابن حوقل حمولات الشام التي كانت تُنقل إلى الحجاز واليمن وسواحل بحر القلزم، حيث يقول: "أمّا القلزم فمدينة على شفير البحر ونحره ومنتهى هذا البحر إليها، وهي في عقم هذا البحر من آخر لسانه وليس بها زرع ولا شجر ولا ماء، وماؤهم يُحمل إليهم من آبار بعيدة ومياه منها على نأي، وهي تامّة العمارة، بها فرضة مصر والشام، ومنها تُحمل حمولات الشام ومصر إلى الحجاز واليمن وسواحل هذا البحر، وبينها وبين مصر مرحلتان، ثمّ تنتهي إلى شطّ البحر، فلا تكون بها قرية ولا مدينة سوى مواضع بها ناس مقيمون على صيد من هذا البحر، وشيء من النخيل يسير، حتّى تنتهي إلى تاران وجبيلان[42] وما حاذى جبل الطور إلى أيلة"[43].

كما حظي الجانب البَشري باهتمام ابن حوقل، فهو يذكر الأنشطة التي يشتهر بها كلُّ إقليم زاره، ومن أهم الأنشطة البشرية التي ذكرها الزراعة، إذ يتحدَّث عن اتِّساع النشاط الزراعي في أكثر من مكان، ومن ضمن هذه الأمكنة الشام، حيث تحدَّث عن سهول مدينة دمشق وأنهارها وينابيعها وأهمِّيتها الرئيسة للإنسان في ممارسة أنشطته اليومية مثل الزراعة والرعي... ولعلَّ اهتمامه بالأنهار والأودية كان يصبُّ في خدمة تقديم وصف مفيد لاقتصاديات بلاد الإسلام، ومنها بلاد الشام، التي تعتمد في كثير من أماكنها على النشاط الزراعي المرتبط بتلك الأنهار والوديان، حيث يقول: " ... "أمّا جندُ دمشق فقصبتُها دمشقُ، وهي أجلّ مدينة بالشام في أرض مستوية قد دُحيت بين جبال تحتفُّ بها إلى مياه كثيرة وأشجار وزروع قد أحاطت بها متَّصلة، وتُعرف تلك البقعة بالغوطة، عرضها مرحلة في مرحلتين وليس بالشام مكان أنزه منها، ومخرج مائها من تحت بيعة تعرف بالفيجة (مع ما يأتي إليه من عين بردى من جبل سنير)، وهو أوّل ما يخرج مقدار ارتفاع ذراع في عرض باع ثمّ يجري في شِعب تتفجَّر فيه العيون؛ فيأخذ منه نهر عظيم أجراه يزيد بن معاوية، يغوص الرجل فيه عمقاً ثمّ ينبسط منه نهر المزة ونهر القناة، ويظهر عند الخروج من الشعب بموضع يُقال له النيرب، ويُقال إنّه المكان الذي عناه الله تعالى

(40) كتاب (الخراج) للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت: 182هـ-798-م) هو رسالة موجَّهة من أبي يوسف إلى هارون الرشيد، وفيه تبيانٌ لكيفية إدارة الدولة لمواردها المالية، من الضرائب والرسوم التي يحقُّ للدولة جبايتها، ويتطرَّق لأمور إدارية تتعلّق بكيفية تعيين عمّال الخراج وأصحاب البريد في مختلف الأقاليم، كما يتناول أموراً قانونية مثل كيفية إنزال العقوبات بالعمّال المرتشين.. للمزيد انظر: القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت: 182هـ-798-م): كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان 1979م. وورد في لسان العرب لابن منظور (ج2، ص252) أن الخَراجُ، الإتاوَةُ، ويُجمع على أَخْراجٍ وأَخَارِيجَ وأُخْرجَةٍ.. وفي التنزيل: أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ. قال: الزجّاج: الخَرَاجُ الفَيْءُ، والخَرْجُ الضَّريبَةُ والجزية. كما ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي (ج-1ص40) أنّ الخراج والخرج بمعنى واحد، وهو أن يؤدّي العبد إليك خراجه أي غلّته. والرعية تؤدّي الخراج إلى الولاة.

(41) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص175.

(42) تَارَانُ: جزيرة في بحر القلزم بين القلزم وأيلة، يسكنها قوم من الأشقياء يقال لهم بنو جدّان، يستطعمون الخبز ممن يجتاز بهم، ومعاشهم السمك، وليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب، وبيوتهم السفن المكسّرة، ويستعذبون الماء ممن يمرّ بهم في الديمة، وربما أقاموا السنين الكثيرة ولا يمر بهم إنسان، (وفق ياقوت الحموي-معجم البلدان، ج2، ص6)، فالمقصود بالجزيرتين: تيران وصنافير، حيث لم يرد ذكر اسم "صنافير" في كتب الجغرافيين اليونانيين، أما الجغرافيون العرب فقد لمحوا في كتبهم إلى "تيران وصنافير" تارة بالاسم الصريح، وأخرى بلفظ "جبيلان".

(43) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص ص47-48.

(بقوله): (وآوَيناهما إلى رَبوة ذات قَرار ومَعين)[٤٤] ثمّ ينقل من هذا الماء عمود النهر المسمّى بردى، وعليه قنطرة في وسطِ مدَينة دمشق لاً يَعبره الراكب غُزْرَ ماء وكثرةً، فيُفضى إلى قرى الغوطة، ويجري الماء في عامّة دورهم وسككهم وحمّاماتهم"[٤٥].

من خرائط العالم المبكّرة: خريطة ابن حوقل

اهتمَّ ابن حوقل بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية في مواضع مختلفة، مشيراً إلى الزراعة والثروة الزراعية في المناطق المعتدلة مثل بلاد الشام، حيث قال: "وفي المناطق المعتدلة منها سفوح جبال بلاد الشام يذكر زراعة الكروم والتين والرمّان معتمدة على الأمطار والمياه السطحية مثل نهر العاصي، وبسبب ملائمة الظروف الطبيعية المتمثّلة باعتدال درجات الحرارة وخصوبة التربة"[٤٦].

وحين يتحدَّث ابن حوقل في باب الجزيرة عن نهر الخابور، يشير إلى غنى أرض عرابان على ضفافه بالأقطان وثياب القطن التي كانت تُصدَّر إلى الشام، فيقول: "ونهر الخابور المذكور عليه مدائن كثيرة قد شكَّلتُها ووصفتُها كمدينة عرابان، وهي مدينة لطيفة كثيرة الأقطان، وثياب القطن تحمل منها وتجهَّز إلى الشام وغيرها، وعليها سور صالح منيع، ومن ورائه منعة بمن فيه من الرجال"[٤٧].

وتطرَّق ابن حوقل إلى العديد من النشاطات الصناعية المهمّة، فذكر التوطُّن الصناعيَّ وبيَّن العلاقة بين نوع الصناعة والمواد الأولية، كذكره للصناعات القطنية والألبسة بطبرستان، ومن الصناعات التي أشار إليها صناعة الصابون بمدينة بالس، على نهر الفرات غرب العراق، والذي

(44) (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)، سورة المؤمنون، آية 50.
(45) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص174.
(46) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص ص173-174.
(47) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص222.

يُعمل منه الشيء الكثير، وصناعة المشروبات في مدينة منبج بالشام التي تشتهر بالزبيب[٤٨].

وبالنسبة للنشاط التجاري تحدَّث عن وجود تبادل تجاري على المستويين الداخلي والخارجي، فذكر على سبيل المثال العلاقات التجارية بين بلاد الهند والصين وكلٍ من العراق وبلاد فارس خاصة، وبين تلك الأقاليم والعالم الإسلامي عامّة، والراجح أنّ مردَّ هذه العلاقات ترجع إلى حالة السلم السائدة بين تلك الأقاليم والعالم الإسلامي آنذاك. وهنا ذكر ابن حوقل استخدام طرق النقل البحري، كما ذكر المواد التي تُنقل مثل القطن والملح والعقاقير الهندية...

وتناول ابنُ حوقل الوحدات العمرانية من خلال ذكره لمواد البناء التي استُعملت بغض النظر عن مصادرها، فقد تكرَّر ذكر مواد البناء في العديد من المواضع التي ذكرها في كتابه والتي جاءت في الغالب من البيئة المحلية، فقد ذكر أنواعاً عديدة من مواد البناء تتفاوت في درجة استعمالها من منطقة إلى أخرى مثل المواد التي استُعملت في مباني مدينة تكريت، وذكر الحجارة كمادّة للبناء، شائعة الاستعمال، ففي وصفه لمدينة حمص في بلاد الشام يقول: "وجميع طرق حمص من أسواقها وسككها مفروشة بالحجارة مبلَّطة"[٤٩]... وهذا يدلُّ على توفُّر المادّة الخام في موضع المدينة، وبالتالي يساعد على توسُّع حجمها في المستقبل.

سادساً- ثغورُ الشام وكُوَرُها وأجنادُها:

اشتهر ابنُ حوقل برحلاته الواسعة في العالم الإسلامي، فطاف في مصر والشام والعراق والبحرين والأحساء وفارس وأذربيجان وأرمينيا، كما تجوَّل في جهات من آسيا حتى بلغ إقليم السند، ودخل البلغار ووصل إلى وسط نهر الفولكا، وتجوَّل في بلدان المغرب العربي والأندلس وغربي أفريقيا حتى مملكة غانا، وزار نابولي وصقلية، ويمكن تلخيص رحلاته في الشام بأن وجوده بإقليم الشام كان ما بين سنتي (٣٣٧-٣٤٩هـ)، فيقول: "والذي أدركتُ عليه عقود فلسطين والأردن أيام أبي المسك كافور رحمه الله والمتّلي لها من قبله في سني سبع وثمانٍ وتسع وثلاثين إلى سني ثمان وتسع وأربعين، وكذلك جند الشام"[٥٠].

ويشرح عن ثغور الشام فيقول: "قد جُمعت الثغور إلى الشام، وبعض الثغور كانت تُعرف بثغور الشام، وبعضها تُعرف بثغور الجزيرة، وكلُّها من الشام، وذلك أنَّ كلَّ ما كان وراء الفرات فمن الشام، وإنّما سُمِّي من ملطية إلى مرعش ثغور الجزيرة، لأنّ أهل الجزيرة بها كانوا يرابطون ويغزون لا أنّها من الجزيرة وأعمالها"[٥١].

وكذا الثغور الشاميّة، (وأمّا الثغور الشاميّة فمن الإسكندرونة إلى بياس مرحلة خفيفة، ومن بياس إلى المصّيصة مرحلتان، ومن المصّيصة إلى عين زربة مرحلة، ومن المصّيصة إلى أذنة مرحلة، ومن أذنة إلى طرسوس مرحلة، ومن طرسوس إلى أولاس على بحر الروم يومان، ومن طرسوس إلى الحوزات مرحلتان، ومن طرسوس إلى بياس على بحر الروم فرسخان، ومن بياس إلى الكنيسة والهارونيّة أقلُّ من يوم، ومن الهارونيّة إلى مرعش من ثغور الجزيرة مرحلة، فهذه جملة مسافات الثغور).

(48) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص180.
(49) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص176.
(50) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص172.
(51) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص168.

وقد انتهى القول فيما قصدتُ ذكرَه من الشام بعد ذكر المغرب ومصر والشام في أقاليم ممتدّة على بحر الروم، وقد استوفيتُ أيضاً ذكرَه، ولا وجه لذكر ارتفاع ما خرج عن أيدى أهل الشام، والباقي من الشام في أيدي المسلمين وحكمهم فيه نافذ وأمرهم فيه ماض، فهو ما كان على ساحل بحر الروم (من) حدّ أطرابلس وأنفه إلى نواحي يافا وعسقلان (لأنّ اللاذقيّة وما نزل عنها وحاذاها تحت جزيتهم ومقاطعتهم)[٥٢]... (ورأيتُ ارتفاع الشام وما في ضمنها من الأعمال والأجناد والتي أقف عليه من جماعة عليّ بن عيسى ومحمّد بن سليمان لسنة (٢٩٦) ستّ وتسعين ومائتين وسنة ستّ وثلاثمائة من جميع وجوهها إلى حقوق بيت المال وما يلزم له من التوابع دون أرزاق العمّال تسعة وثلاثون ألف ألف درهم)[٥٣].

وحول كُوَر الشام، يُعدِّدها ابنُ حوقل كالآتي: "وكور الشام هي جند فلسطين وجند الأردنّ وجند دمشق وجند حمص وجند قنّسرين والعواصم والثغور، وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام وهو الفاصل بينهما، وجبل اللكام جبل داخل في بلد الروم ومتّصل بجميع جبال بلاد الروم، (ويقال إنّه ينتهى إلى حدّ مائتي فرسخ)، ويظهر في الإسلام ما ظهر منه بين مرعش والهارونيّة وعين زربة، فيُسمَّى اللكام إلى أن يجاوز اللاذقيّة، ثمّ يُسمَّى جبل بهراء وتنوخ إلى حمص، ثمّ يُسمَّى جبل لبنان، ثمّ يمتدّ على الشام حتّى ينتهى إلى بحر القلزم من جهة ويتّصل بالمقطّم من أخرى".

ديار قوم لوط

(52) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص188.

(53) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص189، من هنا يتّضح أن ابن حوقل الذي لم تذكر المصادر تاريخاً لمولده، أن عمره يقدّر في تلك المرحلة بقرابة 20 عاماً، وربّما يكون مولده وفق ما ورد بحدود سبعينيات القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

وعن أجناد الشام[٥٤] يقول: "أمّا جند فلسطين وهو أوّل أجناد الشام ممّا يلى المغرب فإنّه تكون مسافته للراكب طول يومين من رفح إلى حدّ اللجون، وعرضه من يافا إلى ريحا مسيرة يومين، ونواحي زغر وديار قوم لوط[٥٥]، والشراة والجبال فمضمومة إلى هذا الجند، وهي منها في العمل إلى أيلة، وديار قوم لوط والبحيرة الميّتة وزغر إلى بيسان وطبريّة يُسمَّى الغور لأنّها بين جبلين، وسائر مياه بلاد الشام يقع إليها، وبعضها من الأردنّ وبعضها من فلسطين، ونفس فلسطين هو ما ذكرته، ومياه فلسطين من الأمطار والطلّ، وأشجارها وزرعها أعذاء بخوس لا سقيَ فيها إلّا نابلس فيها مياه جارية، وفلسطين أزكى بلدان الشام ريوعا، ومدينتها العظمى الرملة وبيت المقدس تليها في الكبر وهي مدينة مرتفعة على جبال يُصعد إليها من كلِّ مكان يقصدها القاصد من فلسطين"[٥٦].

أمّا المسافات بالشام فإنّ "طولها من حدٍّ ملطية إلى رفح، والطريق من ملطية على منبج وبينهما أربعة أيّام، ومن منبج إلى حلب يومان، ومن حلب إلى حمص خمسة أيّام، ومن حمص إلى دمشق خمسة أيّام، ومن دمشق إلى طبريّة أربعة أيّامٍ، ومن طبريّة إلى الرملة ثلاثة أيّام، ومن الرملة إلى رفح يومان، فالجميع خمسة وعشرون يوما"[٥٧].

ويضيف معلومات عن المسافات بين دمشقٍ وما يحيط بها من بلدات ومدن، فيقول: "من دمشق إلى بيروت على بحر الروم مسيرة يومين غربا، وإلى أقصى الغوطة من دمشق حتّى يتّصل بالبادية مشرقا يوم، ومن حمص إلى أنطرطوس التي على بحر الروم مسيرة يومين غربا، ومن حمص إلى سلميّة على البادية مشرقا يوم، ومن طبريّة إلى صور التي على البحر غربا مرحلة، ومنها إلى أن يجاوز فيق على ديار بني فزارة مشرقا دون المرحلة، وهذه مسافات طول الشام وعرضه"[٥٨].

أمّا الأردنّ وهي أصغر أجناد الشام وأقصرها مسافة، فيذكر ابنُ حوقل أنها: "لم تزل في يد أبي منصور أحمد بن العبّاس محلولة ومعقودة سنين كثيرة بمائتي ألف دينار، وأمّا جند دمشق فدمشق قصبتها ومنها إلى بعلبك يومان، ومنها إلى بيروت (يومان، ومن بيروت) إلى أطرابلس يومان، ومن بيروت إلى صيداء يومان، ومن دمشق إلى أذرعات أربعة أيّام، وإلى أقصى الغوطة يوم وإلى حوران» والبثنية يومان"[٥٩].

(54) أجناد الشام: جمع جند، وهي خمسة: جند فلسطين، وجند الأردنّ، وجند دمشق، وجند حمص، وجند قنّسرين، وكلها بالشام، يقول أحمد بن يحيى بن جابر: اختلفوا في الأجناد، فقيل سمّى المسلمون فلسطين جنداً، لأنه جمع كورًا، والتجنّد: التجمّع، وجنّدت جنداً أي جمعت جمعاً، وكذلك بقية الأجناد. وقيل: سمّيت كل ناحية بجند كانوا يقبضون أعطياتهم فيه... وذكروا أن الجزيرة كانت مع قنّسرين جنداً واحداً، فأفردها عبد الملك بن مروان وجعلها جنداً برأسه، ولم تزل قنّسرين وكورها مضمومة إلى حمص حتى كان ليزيد بن معاوية، فجعل قنسرين وأنطاكية ومنبج جنداً برأسه، فلما استخلف الرشيد، أفرد قنسرين بكورها، فجعلها جنداً، وأفرد العواصم، كما نذكره في العواصم (معجم البلدان: ياقوت الحموي، ج1، ص38 و103)، وفي لسان العرب لابن منظور: "الجَنَد: الأَرض الْغَلِيظَةُ، وَقِيلَ: هِيَ حِجَارَةٌ تُشْبِهُ الطِّينَ. والجَنَد: مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ، وَهِيَ أَجود كُوَرِهَا، وَفِي الصِّحَاحِ: وجَنَد، بِالتَّحْرِيكِ، بَلَدٌ بِالْيَمَنِ. وَفِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ الجَنَد، بِفَتْحِ الجيم والنون، أَحد مَخاليف الْيَمَنِ؛ وَقِيلَ: هِيَ مَدِينَةٌ مَعْرُوفَةٌ بِهَا. وجُنَيْد وجَنَّاد وجُنادة: أَسماء. وجُنادة أَيضاً: حَيٌّ. وجُنْدَيْسابُورُ: مَوْضِعٌ، وَلَفْظُهُ فِي الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ سَوَاءٌ لِعُجْمَتِهِ. وأَجنادانُ وأَجنادَيْنُ: مَوْضِعٌ، النونُ مُعَرَّبَةٌ بِالرَّفْعِ؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وأُرى الْبِنَاءَ قَدْ حُكِيَ فِيهَا. وَيَوْمُ أَجنادَيْنِ: يَوْمٌ مَعْرُوفٌ كَانَ بِالشَّامِ أَيام عُمَرَ، وَهُوَ مَوْضِعٌ مَشْهُورٌ مِنْ نَوَاحِي دِمَشْقَ، وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ الْعَظِيمَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ فِيهِ" (ج3، ص ص 132-133).

(55) ديار قوم لوط هي "سدوم"، سكنها قوم لوط قبل أكثر من 3500 سنة، وقد عثرت بعثة آثار أمريكية استمرّت بالتنقيب مدّة 10 سنوات في منطقة "تل الحمام" في الأردن، على خرائب "سدوم".

(56) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص ص170-171.

(57) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص185.

(58) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص186.

(59) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص187.

سابعاً- غوطة دمشق ونهر بردى والأموي:

مثلما وصف الإصطخري جلال مدينة دمشق وغوطتها ونبع الفيجة، ونهر بردى في كتابه المسالك والممالك، نجد أنّ الجانب الطبيعي حظي باهتمام ابنِ حوقل بطبيعةِ الحال، فهو يشير إلى جوانب عدّة تتعلّق بهذا المجال، إذ يتحدّث عن الأنهار في كل إقليم، مشيراً إلى الأنهار الرئيسة والفرعية من منابعها والمناطق التي تمرُّ فيها وحتى مصبّها في البحار، كما يذكر الظواهر الطبيعية التي تحدث فيها وما يجاورها من المدن والمظاهر الجغرافية المتنوّعة، فيذكر طبيعة السطح والبحيرات وغير ذلك، كما يُوضِّح الظروفَ المُناخيةِ وأثرها على الإنسان في مزاولة نشاطه، فضلاً عن تطرُّقه إلى أهم الثروات الطبيعية في كل إقليم كالمعادن...

ففي آخر صور كتابه (صورة الأرض)، بعنوان (ما وراء النهر)[٦٠] يشير ابنُ حوقل إلى دمشق وغوطتها، فيقول: "لم أرَ ولم أسمع في الإسلام بظاهر بلد أحسن من ظاهر بخارى، لأنّك إذا علوت قهندزها لم يقع بصرك من جميع النواحي إلّا على خضرة تتّصل خضرتها بلون السماء، وكأنّ السماء مكبّة زرقاء على بساط أخضر، تلوح القصور فيما بين ذلك كالتراس التيبتيّة والحجف اللمطيّة أو كالكواكب العلويّة بياضاً ونوراً بين أراضي ضياع مقوّمة بالاستواء مهندمة كوجه المرآة بغاية الهندسة، وليس بما وراء النهر من البلاد ولا غيرها من البلدان أحسن قياماً بالعمارة للضياع منهم مع كثرة متنزَّهات في سعة المسافة وفسحة المساحة من أرضهم، وذلك لهم دون غيرهم، لأنّ المشار إليه من متنزَّهات الأرض سغد سمرقند ونهر الأبلّة وغوطة دمشق،

(60) بلاد ما وراء النهر، هي منطقة تاريخية وجزء من آسيا الوسطى، تشمل أراضيها أوزبكستان والجزء الجنوبي الغربي من كازاخستان والجزء الجنوبي من قرغيزستان. أطلق العرب المسلمون على تلك المنطقة اسمَ «بلاد ما وراء النهر» عندما فتحوا تلك المنطقة في القرن الهجري الأول، إشارة إلى النهرين العظيمين الذين يحدّانها شرقاً وغرباً: نهر سيحون (2212 كم) ونهر جيحون (1415 كم)؛ وهي ترجمة للتسمية الفارسية القديمة «فرارود». أهم مدنها: سمرقند، بخارى، فرغانة، طشقند، خوارزم، مرو، ترمذ... وهي أسماء تدلُّ على أعلام لهم مكانتهم في التاريخ، مثل: الخوارزمي، والفارابي، والبخاري، والترمذي، وابن سينا، والجرجاني، والسجستاني، والبيروني. يُشكِّل الأوزبك الكازاخ والروس الأغلبية العرقية في تلك المناطق.

على أنّ سابور وجور فارِس لا تقصرانِ عن غوطة دمشق، لأنّك إذا كنت بدمشق ترى بعينيك على فرسخ وأقلّ جبالاً فرّاغاً قرعاً من النبات والشجر وأمكنة خالية من العمارة، وأكمل النزهة ما ملأ البصر وسدَّ الأفقَ وتَناهى في الطيب"[٦١]...

ويُضيف أن دمشق هي من أنزَه الأماكن، فيقول: "أمّا سغد سمرقند فهي أنزَهُ الثلاثة الأماكن التي ذُكرت، وهي غوطةِ دمشق ونَهر الأبلّة، وقد قال أهل فارس شعب بوّان، لأنَّ من حدِّ بخارى على وادي السغد يميناً وشمالاً ضياعاً تتَّصل إلى حدِّ البتم، لا تنقطع خضرتها ولا تتصرَّم زهرتها، ومقدارها في المسافة ثمانية أيّام مشتبكة البساتين والخضرة والرياض والميادين، قد حفَّت بالأنهار الدائم جريُها"[٦٢].

(61) صورة الأرض: ابن حوقل، ج2، ص472.
(62) صورة الأرض: ابن حوقل، ج2، ص743.

أمّا المسجد الأموي بدمشق، والذي وصفه الإصطخري في كتابه المسالك والممالك، متحدّثاً عن تاريخه وأصله وبُناته، وعن باب جيرون ومقتل النبي يحيى عليه السلام ونصب رأسه عليه، كذلك وصفه أبو عبيد البكري الأندلسي في كتابه المسالك والممالك بالمسجد الجليل، وأن فيه غرائب من الأعمال يطول وصفها، ويُكرِّر ابنُ حوقل المعلومات نفسها حين يتحدَّث عن الجامع الأموي واصفاً المسجد الأموي، إذ يقول: " .. وبها مسجد ليس في الإسلام أحسنُ منه، ولا أتقن بقعةً، فأمّا الجدار والقبّة التي فوق المحراب عند المقصورة فمن أبنية الصابئين، وكان مُصَلّاهم، ثمّ صار في أيدى اليونانيِّين وكانوا يعظّمون فيه دينَهم، ثمّ صار لليهود وملوك من عبدة الأصنام والأوثان، وقُتل في ذلك الزمان يحيى بن زكريّاء عليهما السلام، فنُصب رأسُه على بابٍ هذا المسجد المسمّى باب جيرون، ثمّ تغلّبت عليه النصارى، فصارت في أيديهم بيعة لهم يُعظّمون فيها دينَهم، حتّى جاء الإسلام فصار المكان للمسلمين واتَّخذوه مسجداً، وعلى باب جيرون نُصب رأس الحسين بن عليّ بالموضع الذي نُصب فيه رأس يحيى بن زكريّاء عليهم أجمعين السلام، فلمّا كان في أيّام الوليد بن عبدِ الملك عمَرَه، فجعل أرضه رخاماً مفروشاً، وجعل وجه جدرانه رخاماً مجزَّعاً وأساطينه رخاماً موشّى، ومعاقد رؤوس أساطينه ذهباً، ومحرابه مذهّب الجملة مرصّعاً بالجواهر، ودور السقف كلّه ذهب مُكتّبٌ كما يطوّق ترابيع جدار المسجد، ويُقال إنّه أنفق فيه وحده خراج الشام سنين، وسطحُه رصاص، فإذا أرادوا غسله بثقوا الماء إليه فدار على رقعة المسجد بأجمعه حتّى إذا فجر منه انبسط عنه وعن جميع الأركان بالسويّة"[٦٣].

ثامناً- معان.. سكانها بنو أمية، ودار ضيافة لزبيدة:

بينما نوّه الإصطخري في كتابه (المسالك والممالك) إلى سكّان مدينة معان الأردنية من بني أمية، فيقول: "معان مدينة صغيرة سكّانها بنو أميّة ومواليهم، وهو حصن من الشّراة"[٦٤]... ويشير أيضاً إلى دار ضيافة وحيدة في الشام كانت لزبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هارون الرشيد التي رحلت سنة ٢١٦ للهجرة، ٨٣١ للميلاد، فيقول: "هناك بصرى وعند البلقاء عمّان الّتي جاء في الخبر في ذكر الحوض أنّه ما بين عمّان وبصرى وبغراس على طريق الثغور، وبها دار ضيافة لزبيدة، وليس بالشام دار ضيافة غيرها"[٦٥]... ها هو ابنُ حوقل ينقل في كتابه (صورة الأرض) المعلومات نفسها فيقول عن معان بأنها: "مدينة صغيرة على شفير البادية أيضاً سكّانها بنو أميّة وفيهم لبني السبيل مرفق ومغوثة، وحوران والبثنية رستاقان عظيمان من جند دمشق، مزارعها مباخس، ويتّصل أعمالهما بحدود نهر بين الذي عند البلقاء وعمان، الذي جاء في الخبر أنّه نهر من ركيّ الحوض، وأنّه ما بين بصرى وعمان"[٦٦].

أمّا عن دار زبيدة فيقول ابن حوقل: "بغراس حصن كان فيه منبر على طريق الثغور، وكانت فيه دار ضيافة لزبيدة، ولم يكن للمسلمين بالشام دار ضيافة غيرها"[٦٧].

(63) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص ص174-175.
(64) المسالك والممالك: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري: (ص65).
(65) المسالك والممالك: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري: (ص65).
(66) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص185.
(67) صورة الأرض: ابن حوقل، ج1، ص184.

مصادر البحث ومراجعه

_ جغرافية دار الإسلام البشرية: أندريه ميكل، ج١ ، ترجمة: إبراهيم خوري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥ ، ص٦٠ .

_ صورة الأرض: أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، طُبع في مدينة ليدن – مطبعة بريل، طبعة ثانية، ج١ سنة ١٩٢٨ ، ج٢ سنة ١٩٣٩ ، عدد الأجزاء: ٢ .

_ ديوان لزوم ما لا يلزم: أبو العلاء المعرّي، حقّقه وعلّق على حواشيه وقدّمَ له الدكتور عمر الطبّاع، مجلد أول، دار الأرقم – بيروت ٢٠٠٠م.

_ في الجغرافية العربية، دراسة في التراث الجغرافي العربي: شاكر خصباك، ط١ ، دار الحداثة، ١٩٨٨م، بيروت، لبنان، ص٣٧٤ .

_ كتاب الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفّى: ١٣٩٦هـ)، ج٦، دار العلم للملايين، طبعة ١٥ ، سنة ٢٠٠٢م.

_ كتاب الخراج: القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت: ١٨٢هـ-٧٩٨م)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان ١٩٧٩م.

_ لسان العرب: محمّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفّى: ٧١١هـ)، ج٢ - ج٣، دار صادر – بيروت، ط٣ عام ١٤١٤ هـ.

_ المسالك والممالك: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المعروف بالكَرَخي (المتوفى: ٣٤٦ هـ)، دار صادر، بيروت ٢٠٠٤ م.

_ المسالك والممالك: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد البكري الأندلسي، ج ١ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٢م.

_ معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ج١ ، ج٣، دار صادر، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٩٥م. عدد الأجزاء:٧.

_ موسوعة القبائل العربية - بحوث ميدانية وتاريخية: محمد سليمان الطيب، دار الفكر العربي، ج١ ، ج٢، طبعة ثالثة، ١٤٢١هـ- ١٤٣١هـ (٢٠٠٠-٢٠١٠م)، عدد الأجزاء: ١٢ .